

كتائبك

٧٥٠م

فتى سعيد

أبو الوفا ..
رحلة الشعر والذكريات



83

٢٧٥

حَقَائِقُ

رئيس التحرير أنيس منصور

فتى سعيد

أبو الوفا

رحلة الشعر والذكريات



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

لم أقل غير ما حسبتُ مفيداً
ليت شعري هل قلت شيئاً مفيداً ! ؟
فإذا عشتُ .. عشت حراً ضميري
مستريحاً .. لا صنعتُ سعيداً
وإذا متُّ .. مت حراً لأنني
لم أضفُ للحياة قيداً جديداً
بل إذا مت لم أجزَّ ورأى
من كلامي .. سلاسل وحديد ..

محمود أبو الوفا

غلب البهاء على القريض وكأسه
فسقى بعذب نشيده العشاقا
البلبل الغرد الذي هزّ الربا
وشجى الفصول وحرك الأوراقا
سباق غايات البيان جرى بلا
ساق .. فكيف إذا استردّ الساقا ؟
لو يعرف الطب الصّناع بيانه
أو لو يسيغ لما يقول مذاقا
غالى بقيمته فلم يصنع له
إلا الجناح .. مُحَلِّقاً خفاقا ..

أمير الشعراء

أحمد شوقي

كلمة اعتراف واعتذار

● رحم الله أبا الوفا . .

عاش وحده ومات وحده .

وكم وددت لو كان هذا الكتيب الصغير باقة ورد وعبير ، أضعها

بجوار فراشه وهو حي بعد . .

ويشاء القدر أن يكون باقة ورود ذابلة أضعها على شاهدة قبره بعد

وفاته ! .

وله العتي حتى يرضى . .

ولهذا الكتاب حكاية أتغزى بروايتها التماساً لمدى عذري وقصور

يدي . .

بدأت الفكرة عندما امتد حبل الحديث عن الشعر والشعراء . .

وكان في جعبة الأستاذ الكبير إبراهيم زكي خورشيد المستشار الثقافي لدار

المعارف الكثير من الذكريات عن صديقه القديم محمود أبو الوفا . .

وكلفني وفاءً منه للرجل أن أطلب منه أشعاراً للطفل إسهاماً منه في

مشروعات يعدها عن أدب الأطفال . .

ولم يكن عند أبي الوفا بقية من فتوة وجلد ، يعيناه على تلبية

الدعوة . . جسداً واهناً نحيل شفقاً حتى كاد يطير . . وبقايا خفقات

محتركة في قلبه العليل . . وعينان ساكتتان بلا حراك . . فقط قريحة وقادة
وعقل واع غير غافل ينبض بالحياة وشريط لا ينقطع من الذكريات .
ووجدت خير بديل أن نجمع مختارات من أناشيده القومية والدينية
التي كتبها بلغة عذبة ميسرة للطفل . . كتلك التي كانت نصوصاً مقررة
علينا بالمرحلة الابتدائية في الثلاثينات مثل شجرة القطن ، والفلاح ،
ودعاء الصباح ، إلى أن كلفني أن أضع هذا الكتيب عنه ليكون بمثابة
وفاء وتقدير من الرجل لصاحبه القديم . .

وذهبت إليه . . كان بالرغم من رقدة الفراش الدائمة لا يعترف
بحساب السنين وأغلال المرض والشيخوخة . .
وكان يؤمن بحقه المطلق في جائزة الدولة التقديرية وكأنها سترد له
العافية والقوة . .

وكنت عاجزاً تماماً أمامه . . لا أملك إلا أن أحتوى ذكرياته
وأسجلها وأنعم بصفاء جلساته على قلبها . .
ولم يكن يبدى شيء سوى الكلمات . . وما أقصر قامتها أمام مطالب
الأحياء ربما كانت على حد قوله جرعات دواء شافية له ، ولكنها كانت
أعجز من أن تصنع شيئاً .

ونخفت الزيارات رويدا رويدا . .
وكان هو الأسبق والأكرم دائماً . . يحدثني بصوته الرعش الرخيم
مفتقداً الغيبة الطويلة فأسوق له الأعذار ، وأدبج الأكاذيب فيضحك

ساخراً ضحكته المُخَصَّرة النبرات ، وأتعلل مرات أخرى بالسفر حيناً ،
والمرض حيناً آخر ، فيذكرني بأنها أعذار سقتها منذ عام مضى ووعاها
وغفرها لي ، فأنتحل سواها ، وهو لفرط رحابته وحبه يصدقها ويعلم
كذبها . . .

كان ذلك سبب قصورى عن أن أصنع له شيئاً . وأكتفى بالفرجة
عليه والأيام تنفرط من بين يديه بددا . . .
وكان السبب الآخر . . . شيئاً لم أبح به وأسوقه له عذراً . . .
ذلك ما كنت أعانيه وأكابده من تجديد الوجيعه ، ونكأ الجراح ،
كلما لقيت أبا الوفا . . .

كنت أرى فيه صورة أبى وهو يزحف لأعوامه التسعين . .
الوجه الشامخ العريق ، العينان النفاذتان المُلَوَّنَتان ، الدفء الدافق
الوثير ، الصوت المترع بالشجن والذكريات ، الحلم والسكينة والشعر ،
حلاوة الصحبة الطويلة ومتعة المعاشرة ، ولم يكن أبو الوفا يدرى عن
ذلك شيئاً . !

كنت أعود من لديه فى كل زورة ولقاء ، فأتقلب على الجمرات
ويصحو الشجن القديم . . .

وما إن يضمنى جدران غرفتى ، حتى يطالعنى وجه أبى فأبلىه
بالدمعات ، وأعدو بين قسماته كطفل عارى الثياب ، وكأنى مُبتلى بذلك
الحزن المقيم ، وطويت القلب على ما فيه ، وانقطعت بيننا الأيام ، وكلما

طالت ، خلته نسي ، ينبعث صوته حانيا عاتباً ، حتى كانت آخر مرة له ،
ليقول لابنتي :

«سلمى على أبيك وقولي له شكراً ..

ولم تكن كلمة «شكراً» سوى سكين عتاب ذبحتني برفق ..
ضاق بي وبالقطيعة وله الحق : فرد على سوء الصنيع بكلمة شكر
كانت فصل الخطاب في العتاب واللقاء ..

* * *

ثم كان هذا الكتاب ، حصاداً لاهث القطاف ، لا يعبر عن مواسم
الفصول ..

ومر عام ، وحجب ظهوره كتابي عن شوقي أمير الشعراء .. إلى أن
حدث منذ أيام حين قال لي صديقي الشاعر أحمد سويلم :
أما آن لك أن تراجع أصول كتاب أبي الوفا ..
وقلت له وأنا كسيف البال :

قلبي يحدثني أنه لن يصدر إلا بعد موت أبي الوفا ..
وقد كان .. ما إن مرت أيام قلائل حتى رحل شاعرنا الكبير وآن
للكتاب أن يرى النور ، بعد أن غاب عن عيونه النور ..
ولعله في رقدته الأخيرة وله من روحه قدرة الاستجلاء والتشوف أن
يغفر لي التقصير ، وينوب عني في التماس العذر .. ولعل هذه الدراسة
العجلى تقوم مقام التكفير والاعتذار ، وحسبي تخفيفاً لفداحة الأسي وثقل

الذنب ، أنه قرأ وسمع بعض فصوله ، فعذرا ومغفرة . . ولعله يتسم لي
بسمته الأليفة وأنا أردد له قول الشاعر القديم :

ولما رأته في السباقِ تعطفتُ
علىَّ وعندي عن تعطفها شغلُ
أنت وحياضُ الموت بيني وبينها
وجادت بوصلي حيث لا ينفعُ الوصلُ

«فتحى سعيد»

مقدمة

● كثر الحديث في الأيام الأخيرة عن الشاعر محمود أبو الوفا . . .
وكأنما ارتفعت الستار عنه فجأة بعد أن علاها الغبار وتراكمت فوقها
السنون . . .

فكتبت الصحف والمجلات المصرية الكثير عنه . . . ونهيت إلى أنه
مازال بين الأحياء حياً يرزق وأنه يعيش رهين ثلاثة محابس لا محبين . . .
الساق التي فقدها طفلاً ونور البصر الذي انطفأ شيخاً وجدران بيته الذي
لا يغادره وكنت قد ذكرت ذلك في عدة مقالات وكلمات منشورة
وبعض الأحاديث الإذاعية من أعوام خلت . . . دون جدوى !
وفجأة تبارت الأقلام وعدسات التصوير في تصوير حياته وذكر
مناقبه وكأنه أثر من الآثار الدفينة اكتشف فجأة . . .

وقاد الأستاذ مصطفى أمين في جريدة الأخبار القاهرية حملة من
أجل تكريمه وعلاجه وتوالت التبرعات من ذوى النخوة ومحبي الشاعر . . .
وزاره وزير الثقافة في بيته المتواضع . . . ونشرت صور ذلك اللقاء في
المجلات والصحف ثم طويت بعد حين . . .

وأخيراً . . . كرمه رئيس الجمهورية في عيد الفن الأخير بمنحه وسام
الفنون ومعاشاً استثنائياً ومع ذلك كله . . . ما زال الشاعر يعيش في ذلك

الجب العميق في عزلة عن زائريه وعن ضوء الشمس . . ولم يتحقق أمله
وهو مطلبه الأول في الظفر بمسكن قريب لائق برغم الوعود . . لاتزوعاً
منه إلى الترف أو إلى اللين ودعة العيش . . فإن جرعة ماء ترويه ونسمة
هواء تغذيه . . وإنما حيلة منه لكي يدنى المسافة لأحبائه وزائريه وبذلك
لهم الطريق إلى بيته بدلاً من الخوض في وحل الحارات والأزقة حيث
يقيم . !

ثم انحسرت الموجة تماماً . . وعاد الرجل إلى الظل مرة أخرى . .
وتساءلت لماذا لا يدب فينا عنصر النجدة إلا بعد فوات الأوان ؟ لماذا
لانكرم الفنان حياً وفي صمت بدلاً من أن ترتفع الصرخات من أجله
ونكرمه وهو مشلول أوقعيد وكأننا نشهر به على الملأ .

أى تكريم لشاعر مثله وهو يدلف إلى الثمانين . . ولم يبق
إلا القليل ! ؟

وتذكرت قول أبي الأسود الدؤلى حين قال : « إذا أردت أن تعظم
فت . . »

نعم . . فنحن لانتلفت للأخياء من كبار الفنانين والعلماء إلا بعد
فوات الأوان . . وكأنهم باستمرار حياتهم بيتنا لا يستحقون تكريماً
ورعاية . . أما إذا غادروا الدنيا فما أشد النحيب والبكاء وخطب الرثاء
الرنانة عنهم ؟

هذا هو الشاعر محمود أبو الوفا . . الذى يعيش في صمت وعزلة

زاده الإيمان بالله . ودستوره التواضع له وحب الناس جسيماً برغم
 مالاتي من نكران . .
 نقدمه اليوم في هذه الصفحات لعالمها تكشف الضوء لمن لا يعرف عنه
 الكثير . .

يناير ١٩٧٨

بداية أول لقاء

عرفته منذ عشرين عاماً أو يزيد . . منذ كنا نغد من بعيد إلى العاصمة مهورين نرتاد فيما نرتاد ندوته الحافلة في بيته الذي لم يغادره حتى الآن بحارة « درب العمرى » المتفرعة من أزقة كثيرة بميدان باب الخلق بالقاهرة . .

كان يجلس على أريكته في حجرة متواضعة عارية أوتكاد إلا من سرير عتيق ذى أعمدة أربعة وبضعة مقاعد .

طويل القامة على الهامة وضىء الملامح يشع أنساً وراحة وألفة وكأنك تعرفه منذ زمن بعيد . . يفتح لك قلبه للوهلة الأولى . . ويتفرس فيك بعينين نفاذتين ' وكأنه يقرأ سطور أعماقك . .

وكانت جلسته مقصداً للزائرين ومحبي الشعر من الشباب والشيوخ معاً . . نسمع إليه وقد انطلق يتكلم أويتلو الأشعار والذكريات بصوت خفيض حبيب واضح النبرات كأنه النبع الذى يفيض ولا يفيض . وكل منا لفرط حنوه وتعاطفه يحس بأنه وحده صديقه الأثير . .

ومرت السنون . . وسعينا في مناكبها وألهتنا دوامة الحياة وحالت الأيام بيتنا وبين لقاء شاعرنا الحبيب أبى الوفا . .

ومع الزمن . . صمت صوته رويداً رويداً . . داهمته العلة تلو العلة

وأبهظته تكاليف الحياة بعد أن أحيل إلى المعاش . . وتوارى الرجل خلف
زوايا الصمت . . وشدتنا بعيداً عنه شواغل الدنيا فما عدنا نسمع عنه
خبراً . .

وذاث مساء ليس بعيد سمعته يتحدث عبر موجات الأثير في إحدى
برامج الإذاعة . . وكأنه بعد طول صمت يعلن أنه مازال حياً بعد . .
وأخذتني رجفة وأنا أصغى إليه يتحدث . . انطلق الصوت كأنه انفلات
الشعاع من قبضة الظلمة ينسكب رويداً رويداً ويتشرخير موجات
أنهكها هدير البحر كأنه « عجز همنجواي » يلتقي بشباكهم إلى الأعماق وقد
وهنت اليدان وكل البصر وغام الأفق وارتعشت الكلمات في الحلق وتسلق
الصوت جدران الزمن . . يغوص ليصطاد الأصداف ويلوذ بالمحارات
البيضاء لأن فيها نقاء قلبه وبراءة عالمه .

وينطلق الصوت هابطاً على هدير شلال صاعداً فوق حزمة ضوء . .
خصيب مترع عميق يمتزج فيه دفء الأبوة بعنفوان الشباب يترسل على
استحياء ومشقة لطول مألّف الصمت واستغنى عن الكلام كالسيف
يصدأ لطول الثواء في الغمد . .

جدول من حب وحنين تساقط فيه الندى من جبهة الفجر فانتشر
الخرير وانتال في نبرات معتقات الدنان في أقبية الزمان ما إن فضّ ختامها
حتى دارت بالقلوب وتدفقت « كشدو البلبل الغرد الذي هز الربا وشجى
الغصون وحرك الأوراق » .

ذكريات تطير بك على جناح وتهز قلبك كأنها الأقداح . . لأنها
 نابعة من قلب رحب أحب حتى رأى الدنيا كلها زنايق ورياحين . .
 من ذلك العجوز المغترب الذى يلغظ بالحب والحياة والأمل والزهر
 والأنسام وقدرة الإنسان ولا يتحدث عن مرضه وعزلته ونكران المجتمع
 الأدبي له ؟ ابتلاه الدهر بما ابتلاه فما فقد جسارته ولا كرامته ولا وقاره
 كأنه « أبو فراس » تكبله قيود الروم ويهتف :

وقورٌ وأحداث الزمان تُنوشُنِي وللموت حولي جيئةٌ وذهابٌ
 هذا العجوز الذى له قلب شاب وأعتبره « موسيقاراً كبيراً » غنى له فى
 صباه أعذب وأشهر أغانيه عن « المساء » اعتبره « مرحوماً » ولا يغضب
 الرجل بل يغدق على الموسيقار الكبير الحب والسباحة . ويتسم لأنه سبق
 غيره بقوله :

وغدوت فى الدنيا ولا أدرى أمنٌ أحيائها أنا أم من الأموات ؟
 هذا الشاعر الكبير أيها الناس . . هو آخر عنقود الشعراء الكبار فى
 كرامة الكبرياء ودوحة الاستعلاء مهر شعره بأغلى المهور ودفع فى سبيل
 عزة نفسه فوق ما يستطيع وهون الصبر عليه النوازل فلم يتزلق أويتكالب
 على مقعد أو دائرة ضوء . . بل لم تضمه « لجنة الشعر » إلى قائمتها على
 حين ضمت من هم دونه شهرة وشعراً . . لأنه لم يتزل نفسه غير منزلها .
 كان من الممكن أن يكون ولكنه لم يكن قط ! لأنه من تلك التركيبة
 الفطرية التى ترفض قبل أن تكون مرفوضة . ! تلك الطبيعة الصادقة التى

تشي ! بمكنونها من قيم عليا تثير فزع الدين لايتعاملون بهذه العملة
 النادرة . . طبيعة لايمتطيها أحد . . لأنها بنت أصالتها وسيدة نفسها
 ولاسلطان لأحد عليها إلاالشعر والكرامة . . هذا الشاعر أيها الناس اسمه
 « محمود أبو الوفا » ، لايشغل منصبا ولايقف بالأبواب ولذا فهو ليس
 نجماً ولاصاحب أخبار في أعمدة الصحف . . قد لايعرفه معاصروه
 ولكن الشعر يعرفه جيداً ويعرف أنه من الشعراء الذين كتب عليهم
 ألاينالوا الجدارة والصدارة وهم في حلبة السباق بعد . وقد زكم الغبار
 الأنوف وتدافع أصحاب المناكب القوية على الظفر بالغار وأنى له ذلك
 وقد حرمه الزمن الساق ! ! ولكن بعد أن يرتفع الغبار وترتق الشمس
 مدارج النور ويستفيق الشاربون من نقيع الوشائج وتبادل المنافع سيصبح
 اسمه إعلالاً وضيفاً .

وأبو الوفا من هؤلاء . . لايطلب إكليلا ولاجائزة فقط يذكره
 الناس إنساناً . . لأكثر :

حسبي إذا الحب أضنانى فت هوى

إن يذكرونى قالوا كان إنسانا

عن الشعر والذكريات ورحلة العمر

وهرعت إليه في مساء اليوم التالي . . في البيت القديم الواغل في
أعماق الأزقة والحارات وقد ضاقت عن ذي قبل . . تضاعف الأحياء
فيها وزاد الضجيج وتراكم الغبار . .

وطرقت الباب . . ووجدته هناك قابلاً فوق أريكته في نفس حجرتة
العارية ملتحفاً عباءته وكأنه مازال حيث ألفناه وتركناه من سنين . .
وكان لقاء . . وكان حديث وحوار . . وذكريات رحلة السنين وشجن
دفين ما كان ليفضي به لولا شدة وطأته عليه وطول تجلده له حتى فاض
الكيل . . وقد ذهب عنه نور البصر . . وداهمته علة القلب وانتصر على
ذلك كله بنور الإيمان وحلاوة الرضا والقبول . .

● من أين نبدأ . . وكيف نبرر هذا الغياب الطويل وذلك الجحود ؟
وينحف الرجل إليك ليوفر عليك عناء الكلمات يفيض عليك حباً
وسماحة وينوب عنك في تقديم الأعذار والتعلل بشواغل الأيام
وصراعات الحياة وينطلق الحديث على سجيته دون إعداد وإنما ينبعث
من القلب إلى القلب دافئاً صادقاً عذباً يقلب صفحات الماضي ويستعيد
رحلة أعوام طويلة حقاً ، ويدور شريط الذكريات . . مذهبه في الشعر
بعد تجربته العريقة فيه . . رأيه ومعاصرته للشعراء . . شوق وحافظ

وعبد الرحمن شكرى والأمير عبد الله الفيصل وعزيز أباظة وشعر هذه الأيام وانطلق يتحدث وكأنه يغترف من بحر:

● «مذهبي في الشعر بعد طول مراس وتجريب هو أنه هناك شعر أولاً شعر لا وسط بين الاثنين . . موهبة ودراسة .

وكذلك الحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه وجدتنى أبعد خلق الله عن كل تبعية أو أنتائية إلى أى ناحية مذهبية أو طائفية . عما يعرف فى الأوساط الأدبية بالكلاسيكية والرومانسية أو الواقعية والمثالية . وأظن أنه لا يختلف اثنان فى أن الشعر ينبغى له أن يتجدد ثم يتجدد حتى يبلغ من النمو والتطوير إلى نفس المستوى الذى يستطيع به أن يجيد التعبير عن أمته .

ولكن أى تجديد هذا الذى يراد به لشعرتنا حتى يتمشى مع طموحنا ؟ هل هو التجديد الذى يتداعى إليه أصحاب هذه المدارس والمذاهب إياها ! ؟ وقصارى كل مافيه من تجديدات فإنها ما هى بأى حال من الأحوال أكثر من أنها شكليات أوسطحيات .

● ما التجديد إذن الذى ينبغى أن يكون ؟

إن التجديد الذى ينبغى للشعر الآن يجب أن يتجاوز هذه المظهريات جميعاً إنه يجب أن يخترق هذه القشرة البشرية الجلدية حتى يصل إلى النقطة الحساسة الجوهرية التى متى خرج منها التعبير أى تعبير فإنه حيثئذ لا يمكن إلا أن يكون مشحوناً بكل مافى صاحب هذا التعبير من إخلاص

وصدق وعقيدة ووجدان وضمير . .

هذا هو الشعر كما أعرفه . . وكما قرأته عن الشعراء القدامى من كل لون .

ومن جميع العصور وجميع المذاهب والألوان . . متقدمين متأخرين جاهليين مخضرمين أمويين وعباسيين خوارج أوشعويين من الفُتَّاك أوالصعاليك حتى شعراء المماليك إلى شعرائنا العصريين أوالمعاصرين من المصريين أوغير المصريين من العراق إلى الشام إلى لبنان إلى الأعزة الأماثل من الشعراء المعروفين بالمهجريين حتى الشعراء الصوفيين من السهروردي المقتول إلى ابن عربي إلى ابن الفارض والبرعي والبوصيري ونسيت أن أقول حتى الحلاج أيضاً . .

أى نعم لكل هؤلاء قرأت وأقولها بكل فخر أعجبت وانتفتحت وإنما فقط على القاعدة التى عليها خلقت فكنت منذ شدوت وهى أنى لاأخذ إلا مااستحسننت دون أن أحسن أن أحداً غلبنى على عقلى أو فرض على أى سلطان .

● أما عن التجديد ودعاوى النقاد حول قضية الشعر فإننى أقول :
« إن هذا التجديد الذى يدعوننا إليه ليس فيه أى تجديد مطلقاً ولعله أولى أن يسمى بالتجميد لا بالتجديد .

إن تجديد شعراية أمة من الأمم ينبغى أن يوضع فى كفة وطموح هذه الأمة فى كفة أخرى فإن تعادلا فى كفتى هذا الميزان فهو ذاك وإلا . .

ولقد مر الشعر العربي في هذه التجربة في عدة أزمنة فما قصّر في أى زمن كان . . فقد حمل رسالته في عهد القبيلة أيام جاهليته فما تفوق عليه أى شعر . . حتى إذا انتهى عهد القبيلة وجاء دور الدولة فما كان أقل صولة ولا أضعف جولة وجاء دور الأمة فما كان أسبقه إلى رفع اللواء والجهار بالنداء والحداء .

هذا هو مذهبي في الشعر . . ومفهومي للتجديد . .

نفور شوقي . . وبكاء أمي :

ويسترسل شاعرنا . . يحكى وكأنه يقرأ من سطور ذاكرته في كتاب مفتوح أمام عينيه . .

شوقي أمير الشعراء . . ازدراني عندما رآني أول مرة . . وصغرت في نظره لعرجي . كنت أرتدى الزي الذي ارتضيته لنفسى الجلباب والطاقيّة والبالطو . . والعكازة التي هي ساقى الثانية . . ونفر شوقي من ذلك المنظر السوقى في الحفل الكبير واستعظم أن يشترك في الحفل شاغر على هذا النحو . . فنفرت منه بدورى وقاطعته بعد أن ألقيت قصيدتي وأفحمته .

وبعدها تراجع وأسف وسعى إلى وقال في حفل تكريمى قصيدته

الشهيرة وقال في الساق العرجاء التي نفر منها قوله الذائعة :

سَبَّاقُ غَايَاتِ الْبَيَانِ جَرَى بِلَا سَاقٍ فَكَيْفَ إِذَا اسْتَرَدَّ السَّاقَا ؟ !

وعهد إلى بعد ذلك بمراجعة دواوينه وقت بتحقيق الجزء الثالث من ديوانه الشوقيات . .

وقد نشرت شعري في الأهرام ونشرت صورته معي . . ويوم أن وصل الخبر لأمي . . ندبتني وبكت كثيراً . . لأنني صرت شاعراً أظهر في الصحف والشاعر في مفهوم ذلك العصر ، وفي مفهومنا هو صاحب الربابة الذي يطرب الناس في المقاهي ويقص عليهم قصص السيرة الشعبية وذهبت إليها لأسترضيها وكانت قد عميت لكثرة الأحزان . . موت أبي وبترساقى وكوني شاعراً . . عدت إليها ببدلة أنيقة وطربوش . . فتحسست ملابسي وقامتني واطمأنت لهيئتي وقرت نفسها وطابت . .

● لقد كان شوقي أميراً للشعراء ومحاطاً بسياج مكين من النقاد يتوجونه ويكيلون له المديح برغم وجود حافظ وسائر الكوكبة . . فهاذا قال هؤلاء النقاد في أبي الوفا ؟

نعم كان شوقي مزوداً بكل شيء اللقب والرتبة وأمهات الصحف تفسح له وللأقوال فيه مكاناً فسيحاً بل خصصوا له أعداداً خاصة ومع هذا . . كان النقد أميناً إلى حد كبير . . وأكبر دليل على ذلك ما كتبه الدكتور محمد حسين هيكل رئيس تحرير جريدة السياسة أكبر الصحف التي أفردت لشوقي عدداً كاملاً يوم مبايعته أميراً للشعراء كتب يقول عن ديوانه « أنفاس محترقة » :

« وسائر قصائد الديوان أنفاس محترقة لمحمود أبي الوفا فيها من عيون

الشعر ما يفخر به الشعر وما يقف إلى جانبها خير ما ظهر من الشعر في هذا الزمن الأخير» .

ماذا قال النقاد الآخرون ؟

وهيكل الأديب والصحفي كان صديقاً حميماً لشوقي وكان يعلم تماماً مدى قيمة أمير الشعراء ومدى فزعه من النقد « حتى ليعتبره سباً في ذات أمير الشعراء كالسب في الذات الملكية » فما بالك بتقريظ شاعر غيره أو إغداق كلمات المديح له . . دون سواه !

ولم يكتب هيكل وحده عن أبي الوفا بل كتب كثيرون من كبار الأدباء والنقاد مثل الرافعي والعقاد وأمين الخولي والدكتور أحمد الشايب وسيد قطب الذي وصف أبا الوفا وشعره بهذه الكلمات :

« هذا شاعر . . شاعر ولو لم ينظم بيتاً واحداً من الشعر . . لأن روحه الطليقة استطاعت أن تخلص من قيود الضرورات البائسة التي تكبل حياته من نشأتها أو أن تنطلق بعد ذلك مرفقة ترى في هذه الأرض جمالا وفي تلك الحياة متعة .

شاعر لأن قلبه الودود استطاع أن يرق ويصفو فلا تغشيه الأحقاد الذميمة على هذا الكون الظالم له ولا يضطغن في قرارته على هذه الدنيا التي كشرت في وجهه والتي عاقبتة في قسوة على بعض ابتساماته شاعر لأنه هذا الذي يقول :

أحب أضحك للدنيا فيمنعني
 أن عاقبتني على بعض ابتساماتي
 هام الجواد فعضته شكيمته
 شئت أنامل صنّاع الشكيات
 ولم يكن هؤلاء وحدهم الذين قالوا كلمة صادقة في أبي الوفا
 وشعره . . جاء بعدهم كثيرون لاتسعهم الذاكرة . . منهم مصطفى
 السحرتي ومحمد عبد الغنى حسن ووديع فلسطين وكامل الشناوى
 وعبد المنعم شמים وآخرون . .
 بل لقد أثنى الأمير الشاعر عبد الله الفيصل على هذا الديوان وأرسل
 لى خطاباً رقيقاً شاعرى العبارة وأهدانى « كسوة ملكية » بقى منها هذا
 العقال المعلق فوق الجدار . . كذلك زارنى فى منزلى البسيط هذا الشاعر
 عزيز أباطه وغيره من كبار شعراء الوطن العربى . . ودارت بيننا ندوات .

مبايعة بإمارة الشعر

ويدور حديث الذكريات . . ويسترسل الرجل :
 « ليس لى شلة أحرص عليها أوتحرص على . . كان العقاد فى زمنى
 ينقّس على وكتب مرة مقالين عنى وأتانى فى المطبعة ليطلعنى على ما كتبه
 وكأنه يتظر منى لثم يده ! .
 وعاصرت عبد الرحمن شكرى وهوليس بشاعر . . فالألفاظ تأتى

للشاعر مختارة لابسة ثوبها وليس الشاعر هو الذى يتكبدها أويصطنعها
اصطناعا كذلك لم أحب أبا نواس ولا البحتري . .
لم ألبأ لأحد فى شىء ولم أطرق بابا أو أتخذ وساطة وكان الله سبحانه
يدبر أمرى دون تدخل . .

أذكر أول عهدى بالوظائف . . حين عيننى د . عبد الرزاق
السنهورى وزير التربية وكان محباً للشعر متعاطفاً مع شعرى خاصة ، عيننى
دون أن أعلم فى وظيفة فى دار الكتب وأنا لأرتاح لقيود الوظيفة وذهبت
إليه . . وسألنى من حاكيت من الشعراء . . قلت : حاكيت نفسى . .
واستمرت جلستنا معاً ثلاث ساعات كان فيها بسيطاً وأخرج غداءه من
جقيته وتناوله معى . . ورفضت الوظيفة حتى لأكون تحت رحمة قيد
أوسلطان . . أو أقع فى براثن وزير أو حاكم يرضى أويغضب فما كان منه
إلا أن ألحقنى بوظيفة فى مجلس الوزراء حتى يضمن ألا يفصلنى أحد
أويقيدنى قيد لأن القانون أيامها ينص على أنه من يضير فى هذا المجلس
لا يفصل . . وبذلك ضمن لى ألا يمسنى وزير يحبى أويذهب وبعدها
تقلبت فى وظائف أخرى . . فى بنك مصر . . ودار الكتب ومصلحة
الاستعلامات حتى أرغمونى خلالها على التوقيع بالحضور والانصراف كل
يوم ولا قبل لى بذلك لحالى الصحية فهجرت الوظيفة .

وعدا السنهورى . . كانت الزعيمة هدى شعراوى . . أحببت شعرى
وفتحت لى مجلسها وآخرون حاولوا أن يجروا قدمى للقصر وللملك . .

ولكننى أبيت ورفضت حتى لأقيد موهبتى بقيد من القيود أوأحصرها فى مضيق .

بل أكثر من ذلك أصارحك القول . . سعى إلى منذ سنوات قريبة وفد من الأدباء والنقاد الماركسيين وعلى رأسهم مسئول حزبي كبير . . وأرادوا أن يبايعونى . . على ماذا ؟

على إمارة الشعر فى الوطن العربى . . وأن يقام لذلك حفل كبير تعلن فيه المبايعة وتحشد له الدعاية الكافية . . تساءلت لماذا الإمارة وما السبب ؟

قالوا لأنك الشاعر الذى نرى فيه ذلك . . وأشعارك الأخيرة عن الإنسان وإرادته فى ديوان « النشيد وعنوان النشيد » تؤهلك لتكون كذلك فى نظرنا . . كما أنك بحكم نشأتك الكادحة وشيخونجتك الصامدة أصلح الشعراء لذلك .

ورفضت تماماً . . وقلت لقد عشت مؤمناً حراً لأنخضع لمذهب ولاأنحاز لمدرسة بعينها . . فهل بعد هذا العمر الطويل أتنازل عن إيمانى وحريتى . . ويأسرنى بريق اللقب وضوء المبايعة ! ؟

ولم أقبل بالرغم من جلدتهم وإلحاحهم الطويل . .
فما أنا بالمشغوفِ ضربة لازبِ

وليس لسلطانٍ على أميرٍ

وطنى هو الفصحى

● ولقد سافرت إلى باريس للعلاج . . فكيف وجدت أوروبا وحضارتها ؟

نعم . . سافرت إلى عاصمة النور للعلاج على نفقة الدولة . . كان ثمة أمل فى ساقى التى بترت نتيجة مرض وليس بسبب حادث . وعشت حوالى غام بها . . قريباً من حى « الشانزلزيه » الشهير . . وعبرت المانش . . وتعرفت على ملامح الفن فيها وطففت بمعالمها وقرأت شعراءها الكبار أمثال لامرتين وهوجو صاحب البؤساء وغشيت أماكنهم ومتدياتهم ولكنى لم أستسغ تلك الإباحية المطلقة تحت عنوان الحرية والتحضر وعبرت عن ذلك فى قصيدة لى ألقيتها فى حفل أقامه لى لفيف من الأدباء العرب هناك وقلت فيها معبراً عن انطباعى بما شاهدت :

وطنى هو « الفصحى » فكل بلادها
 فى مصر أوفى الشام هنّ بلادى
 هذا هو الوطن الذى أحيا له
 وله أوالى صادقاً وأعادى
 « بارزيس » جئت بذات جسمى شاكياً
 فصدرتُ أشكو منك ذات قوادي

حرية الأرواح ما أنا طالبٌ للناس لا حرية الأجساد
الناس ماداموا عبيدٌ ميولهم ما الفرق بين حواضرٍ وبوادي
حرر طباع الناس من أصفادها تلقى الحياة نخلت من الأصفادِ

● وأخيراً . . ماذا بقي من حديث الشعر والذكريات ؟
بقي الكثير . . مما لم أقله بعد . . فما زال في الصدر أنفاس تتردد . .
وما زال في الوتر ألحان لم أعزفها . .

بودى . . لو طال بي العمر أكثر . . وراجعت الشعر العربي القديم
كله ونخلته نخلًا . . ونبتت منه الرديء المعاد . . واخترت الجيد
المفيد . .

وددت لو أني حذف من شعرنا العربي ما قيل في الخمر والمجون
والغزل الفاضح . . حتى لا يفتن الناشئون من هواة الشر به وحتى لا يولع
شباب الجيل القارئ لهذا الشعر بمثل هذه الإغراءات وأن أبقى فقط
ما ينفع الناس . . وما يصلح أن يكون قدوة . . ومثلاً لاتقليداً أو محاكاة
وإثارة للغرائز . .

هذه الأفكار نبتت عندي منذ ثلاثين عاماً وحيل بيني وبين
تنفيذها . . وما زلت كبير الأمل أن يوفقني الله على تنفيذها . . ولدى مشروع
آخر أتمنى لو أتيح لي إخراجه للناس . . ذلك أنني أود في شرح نفسي
وتسجيل رحلتي ورصد تجربتي الفنية وتقويم شعري ومحاسبة نفسي حساباً

عسيراً . . بحيث يجمع ذلك كتاب صغير يكون مفيداً للناس . . ولكن الحياة لاتسعفنى . . فالبصر قد ذهب فلا أملك أن أكتب . . والوحدة كما ترى تملأ حياتى فلارقيق حولى . . وأريد أن أملئ ذلك كتابة . . فهل أستطيع وهل يوفقنى الله ؟

* * *

ومضت الساعات تباعاً . . وانسرب الوقت وكأنه لحظات قصار . . وهبت نسيمات السحر . . والرجل يتدفق حيوية وشوقاً وكأنه شاب فى العشرين ويتألق حرارة وفيضاً وكأنه يغترف من بحر . . وكلما ظننت أنى أرهقته من أمره عسراً وكبدته سهراً تألق وتدفق أكثر وأكثر . . حتى آن لى أن ألح فى الانصراف حرصاً على راحته . . ومد لى يده مصافحاً وكأنه مرغم . . وباليد الأخرى ناولنى كتابين : الأول آخر أعماله الشعرية وهو ديوانه « شعرى » والثانى طبعة جديدة من باكورة دواوينه وهو ديوان « أنفاس محترقة » .

* * *

فماذا يقول شاعرنا بعد حديث ذكرياته العتيق فى هذين الديوانين ؟ وما هى ملامحه الشعرية وكيف تطورت واختمرت ونضجت ؟ لنبدأ بديوانه الأول الذى لفت الأنظار إليه وكان بمثابة بطاقة المرور والسفرة الأولى فى عالم الشعر . .

أنفاس محترقة . . قطرة ندى وثورة بركان

هذا الديوان باكورة أعمال شاعرنا . . وبعده تتابعت أعماله الأدبية شعراً ونثراً : « أشواق » ، والأعشاب ، وأنشيد دينية ، وأنشيد وطنية ، وأنشيد عسكرية ، وقومية ، وعنوان النشيد وأخيراً ديوان شعري | عدا تحقيقه للجزء الثالث من الشوقيات ، وللجزأين الثاني والثالث من أشعار المهذلين ، وتحقيق وشرح قصيدة اليتيمة . . »

في مقدمة الديوان يقول الأستاذ فؤاد صروف رئيس تحرير المقتطف والعلامة الأديب ، « لم تهبن الطبيعة الملكة التي تمكنني من معالجة الشعر وأنا مغتبط - وأحسب جمهور القراء مغتبطا كذلك - فأنا إذ أقرأ الشعر وأجد فيه رقيقاً وعنيفاً منأى للنفس عن متاعب الحياة أبحث فيه عن سر أثره في نفسي فأجد صفة « السباحة » أو « الطلاقة » إذ ذاك تكون القصيدة في نظري كالجدول المنساب في الروض الممرع تحف على جانبيه الخماثل المعطارة ولعل بحثي المبهم عن هذه الصفة في الشعر حملني على الإعجاب بشعر « أبي الوفا » إذ قرأت له :

لغة البلابل أين . تذهب بين هدهدة . الهداهد ! ؟

فقلت في ذات نفسي في شعر هذا الشاعر سماحة القرينة التي يمتاز بها الشعر العالمي . إن ديوان أبي الوفا صفحة من حياته وحياة الشاعر حياة

الإنسانية في قلبه أملها وألمها ، وفي عقله حيرتها ، وفي وجدانه معتركها . . فأنت ترى الحياة في هذا الديوان قطرة ندى ، وشذا وردة ، وثورة بركان وإيماناً وبؤساً وأملاً وإرادة صلبة وأنفاساً محترقة .

هذه الكلمات من مقدمة الديوان . . أما جماع فلسفة الشاعر ومذهبه الفني فيلخصها في أبيات متقاة تتصدر غلاف الديوان يقول فيها :

أَمْشَى وَقَلْبِي عَلَى كَفْيٍ أَقُولُ أَلَا

مَنْ رَاغِبٌ فِي قَوَادٍ صَادِقٍ حَانٍ ؟
يَحِبُّ حَتَّى كَأَنَّ الْأَرْضَ لَيْسَ بِهَا

إِلَّا زَنَابِقٌ مِنْ آسٍ وَرِيحَانٍ
وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بُغْضٍ وَلَا إِحْنٍ

وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ مِنْ ظَلَمٍ وَطَغْيَانٍ
وَلَيْسَ مِنْ فَوْقِهَا إِلَّا سَوَاسِيَةٌ

مِنْ الصَّحَابِ وَمِنْ إِخْوَانٍ أَخْدَانٍ
فَلَا وَرَيْكَ هَذَا الْقَلْبُ مَا التَفَتَتْ

عَيْنٌ إِلَيْهِ فَيَا لِبَائِسٍ الْعَانِي !

هذا هو شاعرنا . . قلب يتوهج على أطراف الأنامل . . تتراقص خفقاته عبر شعاب الحياة ويدب صاحبها فوق أرضها على عكازته يقول كلمته دون أن يكف عن السير .

حَاقَتْ بِهِ النَّوْبُ فَلَمْ تَلْطُخْ خَفَقَتَهُ ، وَعَرَّكَ الْحَيَاةُ فَلَمْ يَرْتَدَّ مُحْشُوراً

مسلوب الابتسامة بل إن الابتسامات لا تقنعه قيود لو يضحك ملء فيه . . أن يطلق الضحكات رنيناً عالياً يتحدى بها الأهوال ويحابه القدر ولكنه وهو الشاعر الجسور يخشى لكثرة ماعبثت في وجهه الحياة وتجهمت . .

أحب أضحك للدنيا فيمنعني

أن عاقبتني على بعض ابتساماتي !

. بل إنه لا يلبث في لحظات شجوه أن يترك الضحكة الموجهة تنفلت وتلسع دون أن يذرف دمعة أو يريق آهة بل يضحك ضحكة الكلیم وهي أشد وأدهى . . ويسخر بها ويجعلها مطية لفلسفة ممرورة لا وسيلة لشكوى :

في ذمة الله نفس ذات آمال

وفي سبيل العلا هذا الدم الغالي

كأنني فكرة في غير موضعها

بدت فلم تلق فيها أي إقبال

أو أنني جثت هذا الكون عن غلط

فضاق بي رجة المأهول والخال

أبي . . وفي النار مشوى كل والده

ووالد أنجبا لللبؤس أمثالي

وأبو الوفا . . شاعر أخذت الحياة بتلاييه . . وألح عليه الشعر فغناه

وأرسله بسيطاً كالنسيم ، ناصعاً كالفل ، نفاذاً كالشعاع مما أكسبه ملامح
الامتياز بين رهط الشعراء أبناء النصف الأخير من القرن حتى إنه كما يقول
« الرافعي » :

« شاعر ملء نفسه حتى ليعد أحد الذين يعتصم الشعر العربي بهم » ،
وحتى أمير الشعراء وهو صاحب الرتب واللقب يتوج أبا الوفا فيمن
توجه عقب عودته من باريس إثر رحلة لم تكلل بالنجاح للعلاج عام
١٩٣٢ فينشده فيه :

غلب البهائم على القريض وكأسه
فسقى بعذب نشيده العشاقا
البلبل الغرد الذي هز الربا
وشجى الفصول وحرك الأوراقا
سباق غايات البيان جرى بلا
ساق فكيف إذا استرد الساقا ؟
لو يعرف الطب الصناع بيانه
أو لويسينغ لما يقول مذاقا
غالى بقيمته . فلم يصدع له
إلا الجناح . . . محلقاً خفاقا

كل هذا وأبو الوفا في مقتبل العمر والشعر منذ بترت ساقه ومات
والده في يوم واحد معاً . . . فترح من قرينته إلى المعهد الدينى بدمياط

هرباً من حياة ضيقة كالحلة الجوانب . . وتطلعا إلى حياة رحبة الجوانب . . وعندما هبط فتي الريف الحالم القاهرة . . تصور أنه يمكنه طرق باب السلطان فيؤذن له . . كأنه « أبو الطيب » يرسل تابعه إلى الخلفاء فينبئهم بأنه على قيد فراسخ فيخفون له .
وأبرق أبو الوفا تحت وطأة سذاجته وضيق يده وغرخته إلى السلطان حسين بعابدين يقول :

« مولاي . . إني مظلوم فانتصر » .

ووقف ينتظر بالباب حتى أدير الوقت دون أن يتصر له السلطان . . ! فعاد يدق الأرض شطر الأزهر وتقف الحياة دونه ودون الدراسة به . . فيعمل بالتجارة وتلقفته الحياة فيفتح على الشعر فهو زاده ونصيره على الزمان العتي . .

ويشق نجم شاعرنا مكاناً له في سماء الأدب وقد تألفت بكواكب عصره ولكنه يرتقى مدارج الالتماع والذبوع في سنه الباكرة بما ابتدعه من أسلوب في الأداء على قدر بسلطته وليونته ملتهب عارم كأنه الأنفاس المحترقة في صدر صاحبه ، تلك الأنفاس الجليدة النقية التي هبت على حقل الشعر إبان حقبة زاخرة بالتيارات الأدبية والفنية إذ خرجت مدرسة أبولو بدعواتها التجديدية في الشعر . . وخرج أبو الوفا بأنفاسه الحارة الصادقة ، وديباجته الشعرية الناصعة التي حشد فيها بجانب رقة الأداء ومراعاة مقتضى روح العصر . . قوة العربية وشموخها . . مثل قوله في

قصيدته لم يبق في الحى :

لم يبق في الحى لاراع ولاوالى
 فليت شعرى لمن أشكو له حالى
 رغبت عن معشر ماخلت فيه فتى
 يجوز عن رغبة يوماً بمثقال
 أستغفر الله بل إلا لزمرته
 فمن نديم لقوادٍ .. لدجال
 ومهمه تأكل الأصداء لفحته
 بين الشجى والونجى ألقى أثقالى
 أعملت فيه العصا على أرى رجلاً
 قد قيل عنه كريم العم والخال
 فما تبنيته حتى لقيت به
 حياً .. ولكنه من قلبه .. خالى

قاموسه الشعرى الخاص

إن أهم ما يمتاز به الشعراء كما يقول « رتشاردز » صاحب كتاب « العلم والشعر » : « هو سيطرتهم على الألفاظ سيطرة تدعو إلى الدهشة وليس المقصود بذلك معرفتهم كمية هائلة من الألفاظ . . فكمية الألفاظ التي في متناول الشاعر لا تحدد منزلته من الشعراء وإنما الذى يحدد مكانته الطريقة التي يستخدم بها هذه الألفاظ . . المهم هو مدى إحساس الشاعر بطاقة الألفاظ . . على تعديل بعضها وعلى تجميع تأثيراتها المنفصلة في العقل واتخاذها موضعها المناسب في الاستجابة ككل » .
ويعنى آخر : « أهم ما يحتاج إليه الشاعر قبل كل شيء هو الطاقة الإبداعية وإحساس نقدي بالألفاظ . . فالألفاظ تأتي إليه في حالة الإبداع وتحاول أن تجعله يختارها » .

ومن هنا كان لأبي الوفا قاموسه الشعرى الخاص . . فتراؤه وخصوبته وسيلة موسيقاه لون خاص في بابه . . ينفرد بنكهة معينة عن مدرستي شوقي والبارودى أو شيوع نفس القدامى وبعث الحياة في أوصال القوالب الموروثة ، وعن مدرستي أبولو والمهجر وشيوع الإيقاعات الشعرية المحدثه ، وعن مدرسة الغزل الغنائى التي انحصر فيها رامى وعلى محمود طه ، وعن الإغراق النفسى الشجى الذى تميز به الشايبى والتيجانى

وناجى . . فانحاز أبو الوفا دون هذه الاتجاهات جميعاً باستقلال شخصيته الشاعرة ، استقلالاً كاملاً لا يجعلنا نقوى على إدراجه بقائمة مدرسة بعينها بل نجعله شاعراً مستقلاً الذات ينفرد بقاموسه الخاص وإيقاعه النابض الحى الذى يثال دون أن يكون مجرد تلاعب بالمقاطع أو المقدرة اللغوية على انتزاع اللفظة من برائن القديم وتحلية القصيد بها بقدر ما هو مذهب فى الأداء النفسى والفنى يعبر عن روح صاحبه بطريق مباشر ويقدر ما هو مزج للألفاظ والموسيقى دون قلق أو انفعال بما يشى بطاقة شعرية نفاذة وطبيعة تلقائية رائقة أسهم فى تعميقها فلسفة شفيفة تكاد تكون بمثابة لحن مميز فى أشعار أبي الوفا . . فلسفة تابعة من صميم موقفه تجاه الحياة والناس ومن تمرده على السدود والقيود . . ومن عزله الروحية التى فرضها على نفسه حتى لا يلوثة غبار الأرض والأحياء . . أتاحت له أن يتوغل فى قلب الأشياء ويحقق له عالماً من الصفاء والحب يكون مسراه فيه جناحاً محلقاً خفياً وليس ساقاً خشية صماء :

كل شئ ألقاه ألقى عليه بسمه الحب والرضا زالحنان
أوكل الحياة صارت جلالاً أم أنا حالمٌ على يقظان ؟
وفضاء الدُّنا يضاحك عينيَّ وعيناي للفضاء تضحكان
وأصدق ما يقال إن أبا الوفا شاعر مضى . . فائق المهارة فى توزيع الإضاءة على الجوانب النفسى للقصيدة وهى إضاءة لصيقة بكلماته وشخصه ليست معمودة أوناية لأنها لاتعدو عملية توصيل من داخله المضىء إلى

خارجه المختلط المُعتم مستغلاً إيمانه بأن « الشعر لغة خلال لغة » على حد قول « فاليري » بما جعله يكثف لغته ورؤياه فجاءت أشبه بالموجات الضوئية ذات الصوت المرقق الرخيم .

ولانعدو الحق أن قلنا إن ذلك إحدى خصائص أبي الوفا كإنسان قبل أن يكون خاصيته كشاعر . . فإذا خلعنا عنه ثوب الشاعر ولقبه عرفناه إنساناً بسيطاً من الناس مهيب الطلعة والنظرة متدفق النور جم البهاء . . تستشعر لمرآه أنساً وجلالا ، وتحس في حضرة بطمأنينة وأمن ، تترقق أسارير روحه فوق وجهه المشع حتى لا تكاد تطل من عينيه النفاذتين فتعكس ما في داخل الرجل من قدرة هائلة على الحب والحب بلا حدود . .

ولقد امتزج أبو الوفا الشاعر بأبي الوفا الإنسان فاتحد المزاجان وانصهرا في بوتقة الفن انصهاراً كان نتاجه أشعاراً مصقولة صافية صادقة لانلمح فيها تناقضاً ما . . بين شخصية الشاعر كإنسان وشعره كشاعر . ومن هنا يصدق القول على أبي الوفا بأن الفنان لا يمكن عزله عن سلوكه وشخصه وأن الفصل بينهما بحجة أن المزاج أو التكوين النفسي مسألة خاصة بصاحبها لا علاقة لها بإنتاجه ومن ثم وجب تنحيها جانباً عند التعرض لتقييم الفنان ، فلولا التكوين النفسي والبيئي لكل من بودلير وبايرون على سبيل المثال لما جاءت - أشعارهما على هذا النسق الخاص الذي جعل لهما مذاقاً خاصاً عن سائر الحفنة الرومانسية . .

فالإضاءة والشمول . . والتأمل العميق . والغوص في روح الكون ،
والزهو المطلق وحث الإنسان على ارتياد مجاهل الأبواب المغلقة بالأكف
الحديد لتحقيق جتته على الأرض والتغنى بالقيم العليا للإنسان والإصرار
على اقتحام قضايا الغيب . هي العالم الشعري الأثير الذي اختاره شاعرنا
لنفسه .

فلسفة أبي الوفا في النشيد

ذلك كله خيوط فلسفة أبي الوفا تلمسها منبثة في أعطاف شعره وعلى
طول مراحل نموه الفني . . وهي خلال هذه المراحل الفنية المختلفة لاينالها
وهن وإنما نحس بها مشدودة قوية النبرة وتطالعها جياشة عالية القامة
دون أن تخفت أمام زحف الشيخوخة التي أصدر في كنفها ديوانى
« عنوان النشيد والنشيد » .

فأنت تقرأ في عنوان النشيد وهو أشبه بالنسيج الملحمى حول الحياة
والغيب والإنسان :

استمع لى . . إن من حق الحياة للفتى إما يعيش عيش إله
أو يموت كالصوت لم يُسمع صدهاء .

لاتقل لى فى غدٍ عند السماء
سوف تلقى الروح أو تلقى الضياء

ولماذا لم يكن هذا اللقاء
هاهنا في الأرض إن كان لقاء ! ؟

كما تقرأ في النشيد وهو بمثابة مناجى فكري نثر فيه جماع فلسفته :
مغرس الأحرار يستصرخنا
أن ننقئ أرضه للغارسين
كم تمنيت بأن أفرشها
زهرة ورداً وأخرى ياسمين
لست أدري أنا في سينائه
أم بوادي التيه أم في طور سين ؟
وبُراقى لم يزل في عُرْبِهِ
لم يهبيُّ سرجه روحى الأمين

لست عندى تائراً مالم تكن
طلقة مقذوفة من مدفع
قدر ماضٍ إلى غايته
مُسرعاً حتى ولو لم يُسرِع
لايبال بالمسافات ولا
بالذى يعنيه كسب الموقع

إِنِّي أَبْغِيكَ فَصْلاً خَامِساً
جَامِعاً . . . كُلَّ الْفُصُولِ الْأَرْبَعِ

* * *

قِيَمِي الْعَلِيَا إِذَا لَمْ تَتَّسِرْ
فِي دَمِي الْقَانِي فَمَا مَعْنَى حَيَاتِي ؟
وَحَلَايَا الدَّمِ إِنْ لَمْ تَمْتَلِئْ
قِيَمًا عَلِيَا غَدَتِ بَعْضُ الْكُرَاتِ !

وكما تميز « النشيد وعنوان » النشيد بهذه النبرة الخاصة التي شحذتها
الشيخوخة فجاءت مصقولة ناضجة فقد تميزت « أنفاس محترقة » بأكورة
دواوين شبابه بتحدى الرقاب والمالكين الرقاب والسبق بالجمهور بما يؤمن
به دون خوف . . . حتى كأنك ترى الحياة في هذا الديوان :
« قطرة ندى ، وشذى وردة ، وثورة بركان ، وإيماناً وبؤساً وإرادة
صلبة وأنفاساً محترقة » :

عهد الصراحة مابال الصريح به
لا يملك النطق إلا بالكنائيات
هاج الجواد فعضته شكيمته
شَلَّتْ أَنَامِلُ صَنَاعِ الشَّكَايَاتِ !

أو يقول :

يحيى صدرى بصوت دامي الصدى مقروح
الأرض لم يبق فيها من موطن للصريح
من لم يُغنِ لموسى غنى .. لعيسى المسيح !

* * *

لا تسألوا يا شهود عن حكمة الأقدار ..
وأين نحن العبيد مما وراء الستار ؟
ومن تخطى الحدود يلتقى به فى النار

* * *

النار ذات الوقود يا رب يا ستار ..
ريان بحر الوجود أدرى بموج البحار

آه يا يوم لقاهما

وأبو الوفا شاعر غزل ملهم . . تهب من أشعاره أنفاس نجد
والعرار . . وتذكرنا بنضارة الغزلين من شعراء هذه الفترة من صدر
الإسلام وتعيد إليك أصداء البهاء والشریف الرضي . . ولكنه على قدر
غزله وولعه بالعذارى والأصداء والينابيع وأنفاس الزهر والربيع واللقاء
والشم والضم . . على قدر عفته وحيائه فهو محب من طراز فريد وسع قلبه
الكون والكائنات . . ليس شغوفاً بهتك المحصنات وفضح الأسرار . .
لكنه دائم التجوال والطواف عله يجد ظلاً يأوى إليه :

للحب عندى سرٌّ لا أبوحُ به

إلا دموعاً وأناتٍ وألحانا

في ذمة الله قلب لم يجد سكناً

يأوى إلى ظله . . فارتدَّ حيراناً !

وكما تشم فيه روح العرجى والأحوص ووضّاح اليمن تحس فيه بجدة
أبي تمام ذكاء وشعراً ، وجدة البحري معنى ومبنى ولكن دون عدوان
على ذاتيته وأصالته ولقد شدا أبو الوفا لكل مافتح له قلبه وعبر عن
حالات وجدّه من خلال صور النفس والطبيعة فغنى للطير والصباح
والقمر والنيل والحدائق ومواكب العيد والمساء والبؤساء وتجد ذلك شائماً

في معظم دواوينه. وتطالعها بوضوح في قصائده :

« أميرة ، تعالى ، وردة تفتحت ، عصفورة رأيتها ، حلم
العدارى ، علميني يا حياتي ، عاشقة القمر ، أحبتها ، ذكرى هوى ،
وجد ، قلب الفنان . . »

ومن أرق قصائده التي تلمح فيها لغته الراقصة السهلة قصيدة يوم
اللقاء في ديوانه أنفاس محترقة :

آه	يا	يوم	لقاها	ليتني	كنت	إلها
كنت	صيرتك	في	الأيام	يوماً	لا	يُضاهي
لأمرت	الشمس	تبقى	فيك	لا	تبرح	سماها
ثم	أمددتك	شهرًا	رافلا	تحت	ضياها	
فاستحمتُ	بالضياء	الأ	رضُ	من	جور	دُجاها
وارتوت	بالنور	حتى	نسيت	طول	ظهاها	
وأبحتُ	الناس	للنا	س	خدوداً	وشفاها	
فإذا	ما	كل	نفس	بلغت	فيك	مناها
عدتُ	فاستغفرت	للدنيا	جميعاً	من	خطاها	
آه	يا	يوم	لقاها	ليتني	كنت	إلها

. * * *

وعلى قدر رقة العاشق فيه الذي يود لفرط صفاء حبه أن يوزع هذا
الحب على كل الناس ويحيلهم مثله عشاقا . . على قبر هذه الرقة

العاطفية عند أبي الوفا ، يبدد في الجانب الآخر عنفوان التعبير والقوة
عندما يتحدث عن الوطن . وعن نيله وأرضه ، فيقلب عاشقا من نوع
آخر يمج قلبه بالثورة والغضب ، داعياً إلى العمل والتحرر فيقول في
قصيدة « أرضنا » :

دَغْدَغُوا الأرضَ بالمحارِثِ حتى
تَعْرِىَ للشمسِ بطناً وظهراً
إِقلِبوها بطناً لظهرٍ وإلا
فحال أن ترجع الأرضُ بكراً
عَرِّضوها للشمسِ فالشمسُ أخرى
أن تحيل التراب في الأرضِ تبرا
هذه الأرضُ أنبتُ أطيبَ الطيبِ
بِ وأحلى الثمارِ لونا وعطرا
مالها أصبحت . كأن ثراها
نبتُها : الحلو خارجاً عنه قسراً
أَرْضُنَا عَرِّضْنَا وللعرضِ حق
إننا نبتغيه عزاً وفخرا
نظفوا الأرضَ أولاً وأخيراً
نظفوها كي يخرج النبتُ حراً ..

الديوان العاشر . . الأخير !

يصف الأستاذ أحمد الشايب أستاذ الأدب العربي بالجامعة شعر أبي الوفا فيقول : « ويظهر أن عندنا أسلوبين يعيشان متجاورين : أسلوب تقليدى يلتفت إلى الوراء البعيد . وهو أسلوب جاف .

والثانى أسلوب جديد مضطرب . وبين هذين أوفوق هذين نجد هذا الأسلوب الذى يجمع إلى الجمال الحديث قوة الأسس اللغوية المقررة فيه هذه الرقة العصرية التى تحببه إلى النفوس وفيه هذه القوة العربية السامية وبالاختصار هو الأسلوب الجديد حقاً وهو الذى يجمع بين القديم والحديث ومن أمثله أسلوب أبي الوفا . . »

اسم الديوان « شعرى » وهو الديوان العاشر فى سلسلة إنتاج شاعرنا الكبير محمود أبى الوفا . . صدر فى صمت شديد وتكدست نسخه فى مخازن وزارة الأوقاف حتى كأنه لم ير النور ! وهو حصيلة نصف قرن من التمرس بفن القول والتجوال فى دروب التعبير منذ جمنجم بالشعر فى العشرينات ثم أصدر ديوانه الأول « أنفاس محترقة » فى مطلع الثلاثينات وكان بمثابة نسمة صافية رقيقة هبت على حديقة الشعر العربى إبان هذه الفترة الباكرة . .

ولعل خير تعبير عبر به الشاعر عن نفسه ومذهبه فى الأداء النفسى

والفنى تلك المقدمة الموجزة التى تصدرت ديوانه واعترف فيها بمذهبه فى الشعر فقال :

« ماهمت بشاعر ولا انجذبت إلى مدرسة ولا تعلقت بقدوة وما عرفت لى أى مذهب غير ما أحببت أن أذهب إليه حتى وإن لم يتفق هذا مع أى مذهب ، إن المذاهب أو المدارس لابد لها من التبعية أو التقيد أو الالتزام وهذا ما كنت لا أطيقه بأى حال . . وأحسب أن هذا لا يعنى الرفض بل لعله لا يعنى أكثر من أننى كنت مفتوح الصدر للجميع . . ولقد كنت ومازلت أرنو للنجوم على كثرتها فى السماء وإذا بكل واحدة لها ما لها من السناء ، وعليها ما عليها من الحسن والرويق والبهاء ، فلا يسعنى إلا حين أستمع بكل هذه الآلاء ، إلا أن أبسط راحتى وأدعو للجميع بطول البقاء . »

من هذا المنطلق وأعنى به الحرية والحب . . الحرية فى التعبير عن النفس تحت شعار الالتزام بالأكمل والأجمل . . والحب الصادق الشامل للإنسان أينما كان وللحياة كيفما كانت . . ارتكازاً إلى أن الإنسان هو وتر القيثارة الصحيح الذى يجب العزف عليه وله . . حتى يستطيع أن يحقق لنفسه الانتصار على الحقد والهزيمة والانحناء . . ويصنع عالماً أصيلاً من العمل والنضال والقيم العليا . .

ولقد عرف أبو الوفا منذ البداية أن الشعر نوع من الاحتراق وأن القابض على الكلمات كالقابض على الجمرات إذا التزم الصدق الحار . .

حتى ليحاسب نفسه حساباً عسيراً بالرغم من الدربة الطويلة واكتمال
التجربة الفنية بحكم امتداد عمره المديد فيتساءل . . ترى هل قدم شيئاً
مفيداً للناس بعد هذا الشوط الطويل الذى قطعه :

لم أقل غير ما حسبتُ مفيداً
ليت شعرى هل قلتُ شيئاً مفيداً ؟
فإذا عشتُ . . عشت حراً ضميرى
مستريحاً لما صنعتُ . . سعيداً
وإذا متُ . . مت حراً لأنى
لم أضفُ للحياة قيماً جديداً
بل إذا مت لم أجر ورأى
من كلامى . . سلاسل وحديداً

إنه يعلن عن هويته منذ البداية فهو رجل لا يحب القيود مقيماً
أومغادراً . . لأنه مرهف الحس والروح بالقدر الذى لا يريد أن يرهق
غيره أويثقل على معاصريه حوله . . فيترك خلقه ما يلاحقه باللعنة
والسخط إن غادرها مخلفاً قيماً . . يود لو ينسل منها كما جاء وكأنه الشعاع
أضاء ثم ذاب فى الفضاء ملترماً حدود قوله :

علينا نؤدى للحياة رسالة
هى الحب . . حتى ليس للحب مانع

كذلك أدعو الطير.. تحيا هواتفاً

مغردة ماعاش في الروض ساجع

إن الإيمان عند أبي الوفا.. هو الحب بلا حدود والعطاء دون انتظار
للجزاء وليس نوعاً من اعتزال الحياة أو التعصب الأعمى أو العكوف على
التعبد والانغلاق عن تطور الحياة والبشر.. ولكنه عنده العمل
والقوة.. القلب والروح.. العمل الذي يحقق للإنسان لذة النضال
والمشاركة والقوة التي تجعله مزوداً بروح شائعة هي مزيج من الإرادة
والحرية والإيمان :

تحرّر تحرر ما لعيشك قيمة

إذا أنت لم تجعله عيشاً محرراً

أحب الفتى إن يلقه متذنب

تلقاه لا ذنباً.. ولكن غصنفراً

أحبك إنساناً ترى الحق صارخاً

فتصدو له صوتاً وسيفاً وخنجرأ

تحرّر وحب كل من قد رأيته

بما قد رآه فيك أن يتحرراً

تسمعون الآن شكوى الفقراء

ولقد أعان أبا الوفا على إجلاء مذهبه في الحياة والفن . . وتعميق
الترعة الإنسانية لديه شيثان هامان :

الأول : امتداد بساط العمر تحت قدميه في معترك الحياة بما أتاح له
أن يعمق تجربته ويرصد معاناته ويضيف إليها من حنكة الأعوام ونضج
الرؤيا وحكمة الشيخوخة ماصقلها وأجلاها . .

والثاني : هو انفراده بين سائر شعراء جيله بانتباهه الخالص لنفسه
وعالمه ونفوره من الصخب وضوضاء الضوء . . وإصراره الشديد على
العشق والزهد . . فهو يقاوم ما يترل به من بلاء وكرب بجرعة حب
وصبر . . لا يجرعة جحود ونكران . فظل العاشق الجوال والزاهد الصادق
بمعنى الكلمة . . انطفأت شعلة الشباب فيه ولم تخب جذوة الحب . .
وانطفأ نور البصر وهو في وحدته الأخيرة . . فاستضاء بنور البصيرة . .
ولقد أعانه هذان العاملان أن يطبق منهاجه على نفسه قبل غيره وأن
يلتزم بمذهبه في الحب والصدق الإنساني ونحيل الأيام من حوله إلى مسرة
وحب خالصين . . ودعوة حارة للتفتح والانطلاق والطموح . .

أحبك يا إنسان أعلى من الذرى

وأقرب منها للسماء وأظهرها

فلا أفق إلا كان وجهك مشرقاً
عليه . . . ومنه كان وجهك أنصراً

أحبك يا إنسان أعلى من الذرى
شموناً ولكن رقة لا تحجراً

ولقد انطلق أبو الوفا على سجيته حانياً رقيقاً وثائراً ملتبهاً . . . وساخرأً
هازئاً سخريه الحكيم الألعى . . . يستهدف من وراء سخريته شحذ الهمة
وشد البصر للخطر الداهم نفس الهدف من وراء رفته وحنوه وثورته
وعنفوانه . . . لا أكثر من أن يأخذ بيد الإنسان نحو الشمس ليكون طلقة
مدفع . . . أوفصلاً خامساً جامعاً « كل الفصول الأربع » من خلال الثورة
عليه أوله حيناً أو من خلال الوخز الساخر حيناً آخر :

ومن أكثر القصائد دلالة على روح السخريّة والثورة عند أبي الوفا
تلك القصيدة المترعة بروح الطفولة والتي كتبها في أوائل الخمسينات
والإستعمار جاثم على الصدور ينتزع كسرة الخبز من أفواه الملايين والقاهرة
تحترق علانية . ونشرها بعنوان « تسمعون الآن » ولغطت بها الصحف
حينذاك حيث نشرتها « جريدة الاشتراكية » وتناقلتها عنها سائر الصحف
في مصر والوطن العربي ونقلها هنا برمتها :

تسمعون الآن شكوى الفقراء
دائماً يشكون ظلم الأغنياء !

ما الذى تشكونه يا جُحداً عندنا الراديو وسهرات المساء
وليلالى أم كلثوم الوضاء ليلة واحدة فيها الغناء ..
عن غذاء وكساء ودواء بل عن السودان أيضاً والجلاء ..
قل لهم استشعروا بعض الحياء !

من يقول اليوم إن الأغنياء ليس فيهم رحمة بالفقراء
وهمو لو لم يكونوا رحماء بكمو يا هؤلاء الضعفاء
لاقتنوا الأرض جميعاً والسماء فإذا أنتم عبيد أو إماء
عندهم لا تستحقون البقاء فاحمدوه .. واشكروا للأوصياء
إنهم خلّوا لكم هذا الهواء !

حوار جسور من قلب مؤمن

ولانجد مثالا صادقاً نسوقه .. على أصالة التزعة الإنسانية عند أبى
الوفا ودلالة على قوة تجلده وارتفاعه عن مستوى الحدث .. أكثر صدقاً
ودلالة من هذا الحوار الجسور الذى دار بينه وبين نفسه حين رمى عينيه
من رمى .. وأسندل الظلام على نورها الستار .. « ١٩٦٩ » .
قالت له نفسه :

هذا هو العمى وليس غشاوة وتزول كما تزعم .. فكيف تريدنى أن
أضحك وأبتهج وأظل على حالى من الرضا والإيمان .. لقد كان نور

العين هو « العكازة » التي أتوكأ عليها في ظلام الوحدة . . كحالي مع ساقى
المبتورة التي أستعوض عنها بعكازتى الخشبية . . فياله من صراع وقد
فقدت الاثنين معاً العين والساق :

رأى ما رأى حتى غدا اليوم لا يرى
سوى غير شىء أو يرى الشىء مُبهما
رمى من رمى عينيه فاستلَّ فيها
ضياءهما . . ما كان أقساه إذ رمى
وقلت لنفسى كيف أنت فلم تُجب
فقلت أحتاجين ؟ قالت تظلم
رويدك يا نفس أمالك من نهى
يردك للتُّقيا كما كنت دائماً
لن كنت منذ الأمس عندى كريمة
فإنك منذ اليوم ما منك إلا

* * *

ويترك نفسه ساخطاً على يأسها وتظلمها من القدر الذى رماه . .
ويتلفت إلى عقله عليه يجد فيه سكينه ورضاً . . وربما كان أرحم وأحنى
من نفسه الجاحدة ولكن العقل يعلن تمرده بدوره ويؤيد سخط
النفس :

فما راعنى فى العقل إلا رجوعه
إلى كما لو كان سيفاً تثلاً
أرى أن تلك النفس غير ملومة
ولم ترتكب جوباً ولم تأب مأثماً
وماذا على من نور عينيه ينطفى
إذا ظن فى الأقدار ماظن مرغماً ..
وحين يجد نفسه محاصراً بين احتجاج النفس وتمرد العقل لا يئن
ولا يصرخ .. وإنما يتصر على الاثنين ويتجه نحو الأفق الأعلى .. هاتفاً
مستجيراً .. رافضاً ذلك اليأس والتذمر الذى أعلنه كل من عقله
ونفسه طارقاً باب الله راضياً بعطاياه :

إلهى ذا عقلى ونفسى كلاهما
غوى فكن لى يا إلهى منها
هوى النفس يُصبى العقل إن كليهما
مرايا أخيه .. يا لنا من كليهما
تباركت يامعطى النهار ضياءه
ويامعطى الليل الظلام فأظلاما
لأمر الذى لا أمر من فوق أمره
رضينا بما يرضى ولو كان مؤلماً ..

ولو كان الأمر هو فقدان البصر في فترة من حياته ملاًها صقيع الوحدة والشيخوخة لكان الأمر . . فلقد فقد الساق في مستقبل الشباب وأصر على أن يواصل الرحلة بساق واحدة . . ولكن ما أدهى وأمر هو فقدان الامتلاء وحلاوة الصحبة . . وهما بمثابة الدفء والنور له . . فقد انصرف الجميع وتركوه للفراغ رهين المحبس . . وخلا البيت من حوله . . وقلت الأيدي التي تدق عليه الباب فهل يكفر وينهزم ويلعن الحياة والناس . .

كلا . . إنه يضيء شمعة بدلا من أن يلعن الظلام . . ويغني بالأشعار بدلا من أن يذرف الدموع . . فليده من الكبرياء والصمود وقوة العقيدة والقدرة على العطاء ما يجعله مزوداً بسلاح يفل اليأس والانحناء ويقطع براثن الهزيمة التي تضغط فوق عنقه بمؤمناً بقوله عاملاً به :

قوة لم تُنحَ لقلب جبان
تلك في المرء قوة الأيمان
ليت شعى ماذا أراد بنا الخا
لقُ إلا سيادة الأكران

ومن ثم فهو يبارك الحياة برغم قسوتها ويغترف لحبيه جميعاً ويسامح الجافين منهم ويبارك لاعنيه . . فكلما زادوه هجراً وقطيعة زادهم حباً وسماحة وكلما تنادوا في نكرانهم تهادى هو في هواه وشوقه لهم لأنه

نهل الحب من منهل علوى الرحيق ولا أدل على ذلك من تلك القصيدة
النابضة التى كتبها إثر نوبة قلب « ١٩٧٢ » نزلت به فظن أنها القاضية :

أحباؤنا أنتم على البعد والقرب

بعدتم قربتم مالدينا سوى الحب
أحبكمو حباً كأنى نهلتُهُ

من الحب فى قلب المحبين للرب
فإن قلتمو صِفهُ لقلت بأنه

سلام وتسليم من القلب للقلب
على أى درب فى الحياة سلكتمو

سأسلكه حتى وإن لم يكن دربى !
كذلك حبي للذين أحبهم

من الصحب أو ممن يحبهم صحبى

ولعل خير عزاء للشاعر تلك الكلمات التى قدم بها فضيلة الأستاذ
الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود ديوان أبى الوفا الأخير حيث قال :
« كذلك عاش الأستاذ أبو الوفا حياته وطنياً ثائراً ومجاهداً صادق
العزم فى سبيل وطنه وكان الشعر سلاحه فى الدفاع عن قضاياها ويتميز
شعره فى هذا المجال بالصدق والقوة والحماسة التى تلهب المشاعر
وتستجيش النفوس وتستنهض الهمم والعزمات .

وخلاصة ما يقال فى شعر الأستاذ أبى الوفا أنه تعبير صادق عن حياته

وما زالت سلوكاً صادقاً مع ربه وسلوكاً صادقاً مع نفسه وسلوكاً صادقاً مع الناس .

وحسبه من الجزاء الحق لنفسه المؤمنة وشعره الرصين أنه يحظى برضى الله ورضى النفس ورضى الناس أجمعين .

وبعد . . مازال في مزهره ألحان

وبعد . . فهذه ليست دراسة بمعنى الكلمة عن أبي الوفا . . بقدر ما هي تحية حب تشف عن تقديرنا نحن أبناء الجيل . . الذين تنسموا النبى والصدق في أبي الوفا وسائر الخلفاء والرواد من شعراء القديم الذين صدقوا العطاء والتجديد فكانوا برغم التزامهم بالشكل التقليدى شعراء محدثين بمعنى الكلمة أمثال أبي الوفا ومحمود حسن إسماعيل .

ولقد ظل أبو الوفا على مدى الأعوام الشاعر الغرد الطليق . . شموخاً صموتاً لم يحن قامته لمغنم ولم يلهث وراء ركاب ولم يتزل نفسه غير منزلها . .

يؤمن بمذهبه في الفن والحياة . . ويقنع بعيشه على هامشها . . ويأوى إلى عزله الروحية يطل منها على المواقب في كبرياء . . ويطوى القلب على ما فيه بقدر حاجته إلى البوح والمساندة . . ولكنه صبر العظيم حين تقطعه الحسرات وشجاعة المؤمن حين تتكاثر عليه الرزايا . . من جحود ونكران وحاجة ومن ثم انحسرت عنه دائرة الضوء واتسعت لمن يتهافون عليها ! وانهالت على شعراء جيله الجوائر . . وانفضت عنه وهو أجدى بها وأجدر . . ! حتى تلفتت الدولة إليه أخيراً فقلدته وسام الفنون

والآداب ماسحة بذلك عن جبهته البيضاء الناصعة وهي تتألق تحت تاج
الشيخوخة. الفضى : قطرتى حبود وعرق .

جحد الزمن الذى لم يتزع منه الساق والأحباء والأهل فحسب بل
نثر فى طرقاته الأحجار :

لم يكفه أنى على عكازة أمشى فحط الصخر فى طرقاتى
وعرق الرحلة الطويلة التى شارفت الثمانين دون أن يفقد حرارة الشدو
وعناق الحياة كأنه عاشقها الذى لم تفضنه . . ! والذى مازال فى مزهره
مالم يبع به بعد :

فى	مزهرى	ألحان	أخشى	أغنيها
أخشى	على	الأوتار	من	هول ما فيها

* * *

يا	مزهر	الأقدار	غنّ	بها	غنّ
واشرح	على	الأطيار	ما	غاب	من فنى

أعماق أبي الوفا

- ١ - ديوان أنفاس محترقة
- ٢ - ديوان أشواق
- ٣ - ديوان أعشاب
- ٤ - الشوقيات (الجزء الثالث) تحقيق
- ٥ - أشعار الهذليين (الجزء الثاني والثالث) تحقيق
- ٦ - قصيدة اليتيمة تحقيق وشرح
- ٧ - أناشيد دينية
- ٨ - أناشيد وطنية
- ٩ - أناشيد عسكرية
- ١٠ - أناشيد قومية
- ١١ - عنوان النشيد
- ١٢ - النشيد
- ١٣ - ديوان شعري
- ١٤ - قصة «هؤلاء أبنائي» تحت الطبع .

فهرس

صفحة

٥	كلمة اعتراف واعتذار
١١	مقدمة
١٥	بداية أول لقاء
١٩	عن الشعر والذكريات ورحلة العمر
٣١	أنفاس محترقة . . قطرة ندى وثورة بركان
٣٧	قاموسه الشعرى الخاص
٤٤	آه يا يوم لقاها
٤٧	الديوان العاشر . . الأخير !
٥٩	وبعد . . ما زال في مزهره ألحان

الكتاب القادم

العسكرية الإسلامية

لواء جمال الدين محفوظ

رقم الإيداع	١٩٧٩/٢١٢٣
التّقيم الدولي	ISBN ٩٧٧-٢٤٧-٦٥٤-١

١/٧٩/٢٦

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

نداء التمسك

هذا الكتاب

يجيء هذا الكتاب في ذكرى الأربعين للشاعر
الراحل محمود أبو الوفا : آخر عنقود الشعراء
الكبار .

وقد ظل أبو الوفا يعيش في الظل طويلاً ،
لكن شعره كان معبراً عن القوة والتحدى
والأصالة ، فكان صوتاً متميزاً في عالم الشعر
العربي يستحق منا كل تحية وتقدير .